التَّشْدِيدُ والتَّخفيفُ في القراءات القرآنيَّة للتابعيِّين البصريِّين

أ.م.د. صلاح كاظم داود م. رياض حمود حاتم المالكي

جامعة بابل/ كلية الدراسات القرآنية

Stress and Unstress in the Readings of the Holy Quran for the Late Companions of Basrah

Asst. Prof. Dr. Salah Kadhim Dawood
Lecturer Riyadh Hmood Hatem Al-Maliki
College of the Quran Studies / University of Babylon

Abstract

The Quran readings are an indispensible field for the linguistic studies, phonologically, morphologically, grammatically and connotatively. This field opens up a wide space for studying the dominant Arabic dialects before the Holy Quran was sent down. These readings have gained a great deal of attention from the old and recent scholars specially those who are interested in understanding the constitution of the Moslems and learning their religion.

المقدمة

إنّ القراءات القرآنية ميدان رحب ومعين لا ينضُب للدراسات اللغوية، صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالة، إذ فتحت مجالاً واسعا للدراسة ولا سيما دراسة اللهجات العربية السائدة قبل نزول القرآن الكريم. وقد نال القرآن الكريم وقراءاته اهتمام العلماء والدارسين وعنايتهم قديماً وحديثاً ولاسيما الحريصون على فهم دستور المسلمين وتعلم أمور الدين القويم، فسعوا إلى ضبط نصّ القرآن الكريم والقراءات التي أخذوها عن الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – وعن الصحابة والتابعيين – رض –، ولأن القراءات القرآنية كانت تُنقل عن أشخاص معروفين بالصدق والأمانة وبطريقة الأخذ والمشافهة والسماع بدقة وضبط فقد صارت من أوثق الشواهد اللغوية في اللغة العربية على اختلاف مستوياتها، ومن هنا تتجلى أهمية القراءات القرآنية في تراثنا اللغوي، لذلك آثرت أن يكون موضوع بحثي في هذا الميدان الرحب والرافد الثرّ للدراسات اللغوية؛ وقد هداني ربّي تعالى إلى موضوع ((التشديد والتخفيف في القراءات القرآنية للتابعييّن البصرييّن)) ولأن التابعييّن البصرييّن كثيرون فقد اخترت أربعة منهم؛ وذلك لأنهم متقاربون في الحقب الزمنية، وهم يتفقون في قراءات كثيرة، ويختلفون بأخرى؛ فضلاً عن أنهم بصريّون، ويُعدّون من الرعيل الأول في هذا الفن، لأن بعضهم أقدم من السبعة وبعضهم الآخر معاصر لهم، وهذه كلها قواسم مشتركة بينهم دفعتني لدراستهم، وهذا يدل على أن هذه الدراسة هي بحث تأصيليّ لقراء هم أوائل في هذا المجال، وهم بمنزلة الرعيل الأول في هذا الفن، والتابعيّون البصريون _ محلّ الدراسة _هم:

1- أوس بن عبد الله الربعيّ، أبو الجوزاء البصريّ ت 83هـ.
2- علي بن داوود أبو المتوكل الناجيّ الساميّ البَصْرِيّ ت102هـ.
3- مالك بن دينار الساميّ الناجيّ، أَبُو يحيى البَصْرِيّ الزاهد ت120هـ، وقيل 123هـ، وقيل 127هـ، وقيل 130هـ.
4- عَبد المَلِك بن حبيب الأزدي، أبو عِمْران الجونيّ البَصْرِيّ ت128هـ.

فعقدت العزم بعد التوكل على الله تعالى – على النهوض بهذا الموضوع، وشرعت في جمع شتاته واقتفاء آثاره في بطون كتب القراءات واللغة والتفاسير وبخاصة تلك التي تهتم بذكر القراءات وتوجيهها نحوياً، أو لغويا، وأفادتني بعض البحوث والدراسات الحديثة في القراءات القرآنية.

فانتظمت هذه الدراسة في ثلاثة مباحث تسبقها مقدمة وتعقبها خاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع، تناولت في المبحث الأول تعريف القراءات القرآنية وفائدتها وأركانها، أما المبحث الثاني فعنوانه: التابعيّون البصريّون وأثرهم في كتب التراث العربي، ودرست في المبحث الثالث التشديد والتخفيف، وحوى مطلبين، الأول: ما قرؤوه بالتشديد، والثاني: ما قرؤوه بالتخفيف.

وختاماً أقول: إنني قد بذلت جُهداً في هذه الدراسة والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه تعالى ولخدمة القرآن الكريم ولغته المقدسة. فإن وُفّقت في شيء منه فبتسديد من الله تعالى ومنّه، وإن كان فيه من قصور فهو من نفسي؛ لأن البشر مجبول على النقص ومعرض للخطأ، فالكمال لله تعالى وحده وحسبي أني أخلصت النية وأساله تعالى أن يُقيل عثرتي ويغفر زلّتي إنه سميع مجيب وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على خير خلقه أجمعين محمّدٍ وآله الطيبين الطاهرين.

المبحث الأول

القراءات القرآنية

تعريفها وفائدتها وأركانها

هي علم يُعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيأة النطق والإبدال وغيرها من حيث السماع[1]. فائدتها: صيانة القرآن الكريم من التحريف والتغيير والعلم بما يقرأ به كل إمام من أئمة القراءة والتمييز بين ما يُقرأ به وبين ما لا يُقرأ به[2].

أركانها: ثلاثة هي:

أولا: صحة السند إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانيا: موافقة العربية ولو بوجه.

ثالثا: موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً [3].

وبتأليف ابن مجاهد (ت 324هـ) كتابه (السبعة) وُصف ما خرج عن ذلك شاذًّا؛ ذلك ما قاله ابن جني في مقدمة كتابه (المحتسب) حيث ذكر أن هناك ضربين من القراءات موجودين في عصره: ((ضربًا اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار، وهو ما أودعه أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد _ رحمه الله _ كتابه الموسوم بقراءات السبعة...، وضربًا: تعدى ذلك، فسماه أهل زماننا شاذًّا، أي خارجا عن قراءة القراء السبعة المقدَّم ذكرها))[4]. ويقوي هذه الفكرة أن ابن مجاهد ألّف إلى جانب كتابه (السبعة في القراءات) كتابا آخر في القراءات الشاذة وكأنه يريد إدراج القراءات التي لم يذكرها في كتابه الأول[5].

وبعد خمسة قرون من اختيار السبعة أضاف ابن الجزري (ت833هـ) ثلاثة رأى أن الأركان الصحيحة لقَبول قراءاتهم متوافرة فيها، وبعد ثلاثة قرون على اختيار الثلاثة أضاف الدمياطي (ت1117هـ) أربعة قرّاء رأى أن دواعي قبول قراءاتهم متوافرة، فصار القراء أربعة عشر أشهرهم السبعة ومن ثم الثلاثة فالأربعة الآخرون[6].

يتضح مما تقدم أن اختيار القراء اجتهاد محض ومتى ما توافرت الأركان الثابتة لصحة القراءة عند قارئ ما فسيولد القارئ الخامس عشر وغيره. وأن كل قراءة تخالف ركنا من هذه الأركان الثلاثة فهي قراءة شاذة.

(1) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: 5 .
(2) المهذب في القراءات العشر: 6 .
(3) ينظر: النشر في القراءات العشر: 9/1 .
(4) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات: 32/1 .
(5) ينظر: تاريخ القرآن: 220 .
(6) ينظر: دراسات في لغة القرآن وقراءاته: 146-147 .

المبحث الثاني

تعريف التابعي:

التابعيّ فيه مذهبان:

أحدهما: الذي رأى صحابيًا. والثاني: أنه الذي جالس صحابيًا.

قال الله تعالى ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ**﴾ [التوبة: 100][(1)].

وقد ورد في القاموس الفقهي أن التابعيّ هو من لقي أحد الصحابة مؤمنا بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومات على الإسلام[(2)]. وقد ورد تعريف آخر يذكر أن التابعي: هو من لقي الصحابي وهو مؤمن سواء سمع منه أم لا، سواء طال لقيه به أم لا[(3)].

التابعييّون البصريّون وأثرهم في كتب التراث العربي

القراءات القرآنية أحد علوم القرآن الكريم فإذا ما أردنا أن نتبيَّن أثر القرّاء الذين تُعنى بهم الدراسة فأول المؤلفات التي من الممكن أن نتصفحها للبحث عن أسمائهم هي كتب التفاسير ومعاني القرآن فقد كان لهم أثر كبير في هذه المؤلفات استشهاداً بقراءاتهم وبحثاً في دلالاتها وسندها وصحتها وكل ما يتعلق بالقراءات القرآنية، فقد ورد ذكرهم عند الزمخشري، وابن الجوزي، وأبي حيان الأندلسي. وأكثر المفسرين ذكراً لهم هو ابن الجوزي[(4)].

ويُلحظ أن حصة أبي المتوكل من حيث عدد القراءات التي وردت عنه أكثر من غيره من القرّاء الذي تعنى بهم الدراسة، ويأتي بالمرتبة الثانية أبو عمران الجوني، وبعده أبو الجوزاء، وبالمرتبة الأخيرة مالك بن دينار.

أما في كتب اللغة النحو فالشخصيات التي تعنى بها الدراسة هم مغيَّبون عن هذا الحقل العلمي استشهادا بقراءاتهم، ومن هذه القضية تنطلق أهمية الدراسة بوصفهم من طبقات القراء الأوائل ولاسيما القرن الأول الهجري وبداية الثاني، فبعض قرائنا – محل الدراسة – هم أقدم من القراء السبعة، بل إن المشهورين من القرّاء أخذوا القراءة عنهم عرضا أو عن تلاميذهم لذا فأنا أدرس رعيلا أولَ في هذا الميدان.

المبحث الثالث

التَّشْدِيدُ والتَّخفيفُ

تفيد إشارات اللغويّين القدامى أن العرب لم يكونوا على سُنَّةٍ واحدة في نطق ألفاظهم من حيث تشديدها وتخفيفها، ولا شك أنَّ في التشديد وظيفةً معنويةً ليست موجودة في التخفيف، فالتشديد في غلظة تلائم البداوة؛ لأن القبائل البدوية تميل إلى شدة الأصوات[(5)]، ومعلوم أن الزيادة في المبنى قد تصحبها زيادة في المعنى ما لم تكن الزيادة لغرض لفظي [(6)]، فإذا أرادوا التعبير عن معاني المبالغة والتكثير والمداولة والتكرير تحروا صيغة التجديد لأن فيها زيادة في المعنى وتأكيدا لا تؤديه الصيغة المخففة على الأكثر[(7)]، قال سيبويه: تقول: كسرتها وقطعتها، فإذا أردت كثرة العمل قلت: كسَّرته وقطَّعته ومزَّقته.. واعلم أن التخفيف في هذا جائز كله عربي إلا أن فَعَّلت إدخالها هاهنا لتبيين الكثير[(8)]. وتفيد ملاحظات القدماء من اللغويين والدراسات اللغوية الحديثة أن التشديد سمة من سمات النطق البدوي في حين أن أهل الحواضر والأمصار

---

(1) تهذيب الأسماء واللغات: 1/ 14 .
(2) القاموس الفقهي: 48 .
(3) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: 56 .
(4) ينظر: الكشاف: 585/1 و 382/2 و 108/3 و 176/4 و 473/4، وغيرها، زاد المسير: 44/1 و 414/2 و 96/3 و 20/4 و 390/5 و 366/6 و 392/8 و 28/9، وغيرها ، البحر المحيط: 289/2 و 413/4 و 340/6 و 215/7، 411/8 ، وغيرها .
(5) ينظر: في اللهجات العربية: 100.
(6) شرح شافية ابن الحاجب: 83/1 .
(7) الكشف عن وجوه القراءات السبع: 265/1 , 282 , اللهجات العربية في التراث: 666/2 .
(8) الكتاب: 64/4 .

يميلون إلى التخفيف في نطق كلامهم[1]. ولعل تفسير ذلك يعود إلى ميل القبائل البدوية إلى الأصوات الشديدة في نطقها وهو أمر طبيعي يلائم ما عرف عن البدو من غلظة وجفاء في الطبع أملتْهُ عليهم طبيعة حياتهم، لذا فقد اتسم نطقهم بسلسلةٍ من الأصوات القويّة السريعة، بسبب لجوء المتكلم إلى استعمال التفخيم والتغليظ والتشديد[2]، هذا فضلا على احتياجهم إلى رفع أصواتهم والجهر بها حتى تُسمَع أصواتهم بسبب اتساع الرقعة التي يعيشون عليها، وليس هناك من حائل يصدّ موجات الصوت ويركزها أو يردها، فلا تكاد تتبين الأصوات، ولا تتضح في هذا الفضاء الصحراوي الواسع، لذلك عمدوا إلى أن تتوضّح أصواتهم، فلجأوا إلى ذلك بطرائق مختلفة منها التشديد والتفخيم والجهر في نطقهم الأصوات[3].

والى جانب هذا يرى ابن جني أن تكرير عين الفعل دليل على تكرير الفعل، وأن قوة اللفظ المتمثلة بتشديد العين لابد أن تعبّر عن قوة الفعل[4].

ويكون التشديد في الأسماء والأفعال إلا أنه في الأفعال أكثر حدوثاً فأغلب قراءات التابعيين البصريين في هذا المبحث جاء على صيغٍ فعليّة. أما أهل المدن والقبائل المتحضّرة فكانوا يميلون إلى التخفيف في النطق، لأن فيه من التؤدة والليونة ما ينسجم مع بيئتهم وطبيعتهم[5]، وينسب التشديد إلى بني تميم وسفلى قيس وربيعة، وقد يُنسب أيضا إلى قريش، وَيُنسب التخفيف لأهل الحجاز وقريش[6].

علماً أنّ بعض القبائل البدوية تميل أحياناً إلى التخفيف، كما تميل قريش إلى التشديد أحياناً[7]، وجاءت قراءات التابعيين البصريين بالتشديد أحياناً موافقة للهجة تميم، وبالتخفيف أحياناً أخرى موافقة للهجة الحجاز، وَيُلْحظ هنا أن قراءاتِهم بالتخفيف كانت هي الأغلب؛ وذلك يتفق مع ما ورد في بداية المبحث فيما يخصّ القبائل البدوية التي تميل إلى التشديد في كلامها، والقبائل المتحضرة التي تميل إلى التخفيف، ومعلومُ أن قرَّاءَنا – موضوع البحث – هم قرّاء بصريون أعنى من أهل المدن وليسوا من أهل البوادي لذا نجدُ سمة التخفيف هي الأغلب في قراءاتهم.

وظاهرتا التشديد والتخفيف هما من أبرز الظواهر الصوتية في قراءات التابعيين البصريين، فقد قرؤوا مجموعة من الحروف بالتشديد في حين قرأها الجمهور بالتخفيف وقرؤوا مجموعة أخرى بالتخفيف في حين قرأها غيرهم بالتشديد.

أولاً: ما قرؤوه بالتشديد:

1- في قوله تعالى ﴿**مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا**﴾ طه 100/20 قرأ أبو المتوكل الناجي (يُحَمَّلُ) مُشدَّد الميم مبنياً للمفعول[8]، في حين قرأ الجمهور (يَحْمِلُ) مُضَارع حَمَل مخففا مبنياً للفاعل [9]. ويبدو أن القراءة بالتشديد تُعطي معنىً أقوى من حيث الدلالة؛ ذلك أن زيادة المباني تفيد في زيادة المعاني، وفي قراءة التخفيف قد يكون المعنى أنه (يحمل) الوزرَ طواعيةً وليس تكليفاً، أما في قراءة التشديد فقد يكون المعنى أنه (يُحَمَّلُ) الوزر أي يُكلَّف ذلك الشيء ويكون أكثر مشقّةً – والله تعالى أعلم بحقائق الأمور–.

2- في قوله تعالى ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً**﴾ الفرقان 25/ 63، قرأ ابو المتوكل (يُمَشُّون) بالتشديد مبنياً للفاعل، أي: يُمَشُّون أنفسهم[10]، وقراءة الجماعة (يَمْشون) بالشين الخفيفة[11]. وقوله تعالى (يُمَشَّون) يُقرأ بضم الياء وفتح الميم والشين مشدداً معناه: كأنهم لِتُؤَدَتِهم في المشي وسكون طائرهم يُمشِّيهم غيرهم.

(1) الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز: 45 .
(2) ينظر: في اللهجات العربية : 100, اللهجات العربية في التراث: 657/2 .
(3) ينظر: في اللهجات العربية: 106 , والظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري: 63, وقراءة زيد بن علي دراسة نحوية ولغوية: 292 .
(4) الخصائص: 157/2 .
(5) ينظر: في اللهجات العربية: 100 , الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز: 4546 .
(6) المحتسب: 136/1 , والكشاف: 158/1 , والبحر المحيط: 300/2 .
(7) ينظر: المزهر: 275/2-277 .
(8) مختصر في شواذ القرآن: 89-90، الكشاف: 313/2 , زاد المسير: 320/5 .
(9) ينظر البحر المحيط: 278/6، الدر المصون: 53/5 .
(10) إعراب القراءات الشواذ: 205/2.
(11) مختصر في شواذ القرآن: 105 .

ويُقرأ كذلك بضم الياء وفتح الميم وضم الشين مشدداً، يُقال: مَشَى ومَشّى بمعنى واحد، وقيل المعنى: يُمَشُّون أنفسهم(1)، ونظرة فاحصة للمعنيين يتبيّن لنا الفرق جلياً بين التشديد والتخفيف الذي ذكرناه في بداية البحث من حيثُ الدلالة على المبالغة والتكثير في فعل ما؛ إذ ثمة فرق بين أن يمشي الإنسان نفسه وهو مطمئنٌ وساكن وبين أن يُمشيَّه غيرُه، إذ يتحول الفعل إلى إكراه وغَصْب وهو ما يتحقق مع المبالغة والتشديد.

3- وفي قوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً**﴾ الفرقان 68/25،

قرأ أبو المتوكل (يُلَقَّ فيه أثاما) بزيادة فيه على قراءة الجماعة(2)، وقراءة الجماعة (يَلقَ) بقاف مفتوحة وحذف الألف من آخره على الجزم؛ لأنه جواب الشرط(3)، وذكر ابن الجوزي قراءة أبي المتوكل (يُلَقَّ) فقال برفع الياء وفتح اللام وتشديد القاف مفتوحة والمعنى: يَلْقَ جزاءً وقيل: هو وادٍ في جهنم، وقيل: يَلْقَ عقوبة(4).

والملاحظ هنا أن قراءة التشديد (يُلَقَّ) فيها من المبالغة والقوة والتأكيد على الفعل أكثر من قراءة التخفيف (يَلْقَ)؛ ذلك لان المعنى واضح من جهة الدلالة وأيضا ثمة زيادة في المبنى أدت إلى زيادة في المعنى فجعلته أكثر قوةً وتأكيداً في إظهار المعنى المطلوب – والله تعالى أعلم بحقائق الأمور–.

4- وفي قوله تعالى ﴿ **وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ** ﴾ الأعراف 154/7، قرأ أبو عمران الجونيّ ((سَكَّت عن موسى الغضبَ))(5)، وقراءة الجمهور (سَكَتَ) بصيغة الماضي الثلاثي(6)، قال الزمخشري (ولمّا سكت موسى عن الغضب): هذا مثل؛ كأن الغضب كان يغريه على ما فعل، ويقول له: قل لقومك كذا وألقِ الألواح وخذ برأس أخيك... الخ وهو من نمط قلب الحقيقة إلى المجاز، وكان الأصل: ولما سكت موسى عن الغضب، ولذلك عده بعض أهل العربية من المقلوب وسلكه في نمط خرق الثوب المسار، والتحقيق أنه ليس منه، وأنَّ هذا القلب أشرف وأفصح؛ لأنه بما له من معنى بليغ وهو أن الغضب كان متمكنا من موسى حتى كأنه يصرفه في أوامره، وكل ما وقع منه حينئذٍ فعن الغضب صادر، حتى كأنه هو الذي أمره به(7).

ونظرة فاحصة إلى هذه القراءة تدلنا على أن الغضب مع قراءة التخفيف يكون فاعلاً وهو مع قراءة التشديد مفعول به، والتشديد هو مبالغة وتكثير في الفعل، ولأنَّ الخطبَ فادحٌ كما هو معروف في قصة النبي موسى وأخيه هارون عليهما على نبينا وآله وعليهما أفضل الصلاة والسلام من حيث ترك عبادة الله تعالى، واتخاذ العجل إلهاً من دونه، فكان لزاماً على موسى عليه السلام أن يغضَب غضباً شديداً مبالغاً فيه ولذلك قرئ بالتشديد وهو مناسب في هذا المقام – والله تعالى أعلم بحقائق الأمور –.

5- في قوله تعالى ﴿ **وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُون** ﴾ الأنبياء 80/21، قرأ أبو عمران الجوني (لِتُحَصِّنَكُمْ) بالتاء وتشديد الصاد(8)، كما قرأ أبو المتوكل الناجي (لنُحَصِّنَكُمْ) بالنون وتشديد الصاد(9) وقرأ أبو الجوزاء (لِتَحَصُّنِكُمْ) بتاء مفتوحة وفتح الحاء وتشديد الصاد وضمِّها، وهو مصدر من (تَحَصَّن)(10)، ومعنى (لِتُحْصِنَكُمْ) لتُحرزكم وتمنعكم من بأسكم يعني الحرب(11). ويتضح من خلال سياق الحال للآية الكريمة أنها موضع

(1) إعراب القراءات الشواذ: 205/2.
(2) مختصر في شواذ القرآن: 105, زاد المسير: 105/6.
(3) الكشاف: 415/2 , روح المعاني: 19 48 .
(4) زاد المسير: 105/6 .
(5) زاد المسير: 33/266-267 , إعراب القراءات الشواذ: 565/1 .
(6) مختصر في شواذ القرآن: 46، الكشاف: 580/1 .
(7) الكشاف: 2/513-515 .
(8) معاني القرآن وإعرابه: 400/3 , زاد المسير: 373/5 , روح المعاني: 77/17.
(9) الكشاف: 334/2 , زاد المسير: 373/5 .
(10) زاد المسير: 374/5 .
(11) زاد المسير: 374/5 .

حرب وسجال وصراع مع الأبطال ومن ثمَّ فإن صنعة اللبوس وهي الدروع يكون لها دورٌ كبير في صدّ رماح الأعداء وسهامهم فقراءة التشديد في هذا الموضع لا بأس بها وهي صحيحة وواردة – والله تعالى أعلم بحقائق الأمور –.

ثانياً: ما قرؤوه بالتخفيف:

1- في قوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾ القصص 51/28، قرأ أبو المتوكل (وَصَلْنَا) بتخفيف الصاد[1]، وقراءة الجمهور (وَصَّلْنَا) مشدد الصاد[2]، ومعنى القراءتين أن القرآن الكريم أتاهم متتابعا متواصلا، وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا، ومواعظ ونصائح: إرادة أن يتذكروا فيفلحوا، أو نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في أثر بعض[3]. وذكر صاحب البحر أن معنى (وصلنا) بالتخفيف والتشديد: جعلناه – أي القرآن – أوصالا من حيث كان أنواعا من القول في معان مختلفة، وقيل: (وصلنا لهم) خبر الآخرة بخبر الدنيا، حتى كأنهم عاينوا الآخرة، وقيل: أتممنا لوصلك الشيء بالشيء، وأصل التواصل في الحبل يوصل بعضه ببعض، وهذه الأقوال معناها توصيل المعاني فيه بها اليهم، وقالت فرقة التوصيل بالنسبة إلى الألفاظ، أي وصلنا لهم قولا معجزا دالا على نبوتك[4]، وأرى أن القراءتين مقبولتان وصحيحتان في إيصال المعنى المراد، وإن كنت أميل إلى قراءة الجمهور المثبتة في المصحف الشريف؛ لأنها قراءة تشديد وهي تفيد التكثير والمبالغة وتضفي على النصِّ قوة في المعنى مما يناسب الحال؛ لأن القرآن الكريم تنزَّل على مدة زمنية طويلة دامت ثلاثا وعشرين سنة عانى فيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم معاناة كبيرة في سبيل توصيل الوحي للناس؛ لذلك أرجح قراءة (وَصَّلنا) المشددة على قراءة (وَصَلنا) المخففة – والله تعالى أعلم بحقائق الأمور.

2- في قوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ**﴾، يس 62/36، قرأ أبو المتوكل الناجي (جُبَلاً) برفع الجيم وفتح الباء وتخفيف اللام، مثل ظُلْمَة وَظُلَم[5]. وقراءة الجمهور (جِبلّاً) بكسر الجيم والباء وتشديد اللام[6]، قال صاحب البحر: (الجِبِل) الأمّة العظيمة. وقيل: أقلُّه عشرة آلاف، خاطب تعالى الكفار بما فعل معهم الشيطان، تقريعاً لهم[7]، وذكر ابن الجوزي هذه القراءة بصورة مختلفة عن كثير من القرّاء وقال: معنى الكلمة كيفَ تصرّفت في هذه اللغات: الخَلْق والجماعة؛ فالمعنى: ولقد أضلَّ منكم خَلْقاً كثيراً... قد رأيتم آثار الهالكين قبلكم بطاعة الشيطان، أفلم تعقلوا ذلك[8]، وذكر السمين الحلبيّ (الجِبلَّة) فقال العامَّة على كسر الجيم وشد اللام.. ومعناه الخَلْقُ المُتَّحِدُ الغليظ مأخوذٌ من الجبل. قال الشاعر[*]:

وَالْمَوتُ أَعْظَمُ حَادِثٍ   فِيمَا يَمُرُّ عَلَى الْجِبِلَّهْ

وقيل: (الجِبْلُ والجَبْل والجُبْلُ) لغات، وهو الجمع الكثير العدد من الناس وقيل: الجِبِلَّةُ من قولهم: جُبِلَ على كذا أي خُلِقَ وطُبِعَ عليه[9].

ويُلحظ في هذه القراءة سواء أكانت بالتضعيف أم بالتشديد أنها تعني الخلق الكثير والجماعة من الناس، وقد اتفق كثير من المفسرين واللغويين على هذا المعنى، ولذلك فالقراءتان متفقتان من حيث الدلالة المعنوية – والله تعالى أعلم بحقائق الأمور –.

---

(1) مختصر في شواذ القرآن: 113 , الكشاف: 480/2 .
(2) الجامع لأحكام القرآن: 259/13، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر: 343.
(3) الكشاف: 513/4 .
(4) البحر المحيط: 7/119-120 .
(5) زاد المسير: 30/7 , إعراب القراءات الشواذ: 369/2 .
(6) جامع البيان في تفسير القرآن: 26/23 ؛ معاني القرآن وإعرابه : 292/4 .
(7) البحر المحيط: 328/7 .
(8) زاد المسير: 7/30-31 .
* لم أهتدِ إلى قائله , وهو في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: 320، والجامع لأحكام القرآن: 36/13 .
(9) الدر المصون: 8/549-550 .

3- في قوله تعالى ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ طه 20/ 44، قرأ أبو عمران الجوني (لَيْناً) بسكون الياء، وهو تخفيف من (لَيِّن) مثل مَيْت من مَيِّت[1]، وقراءة الجماعة (لَيِّنا) بتضعيف الياء[2]، وذكر ابن الجوزي (ليْناً) بإسكان الياء، أي لطيفاً رفيقاً.

وأرى أنَّ قراءتي التخفيف والتشديد في هذا الموضع متفقتان؛ لأنهما – الليْن والليِّن – ليسا من الأمور التي يُتفاضَل فيها؛ لذلك أرى أن القراءتين مناسبتان للمقام – والله تعالى أعلم بحقائق الأمور –.

4- في قوله تعالى ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ النجم37/53، قرأ أبو عمران الجوني ((وَفى)) بالتخفيف[3]. وقرأ الجمهور ((وَفَّى)) بتشديد الفاء، أي بَلَّغ[4].

وقيل: معناها صدقَ في قوله وعمله، وهي راجعة إلى معنى قراءة الجماعة (وَفَّى) بالتشديد، أي قام بجميع ما فرض عليه ولم يخرم منه شيئاً[5].

ولا شكَ في أنّ التشديد في قراءة الجمهور أقوى معنى لأنه يفيد المبالغة في الوفاء لما فيه من معنى التكثير والمبالغة[6].

وقد فصّل ابن الجوزي القول في هذه القراءة فقال: قوله تعالى: (الَّذِي وَفَّى) قرأ أبو عمران (وَفَى) بتخفيف الفاء. قال الزّجاج: قوله: (وَفّى) أبلغ من (وَفَى)؛ لأن الذي امتُحن به من أعظم المحن.

ممّا تقدّم يتضح أنّ قراءة التشديد (وفّى) أبلغ من قراءة التخفيف (وَفَى)؛ لأنها أكثر تأكيداً وأبلغ في إيصال المعنى وذلك لعظم ما امتُحن به إبراهيم على نبيِّنا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام ولأجل ذلك ناسَب أن تكون القراءة بالتشديد – والله تعالى أعلم بحقائق الأمور –.

5- في قوله تعالى ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ المعارج 11/70، قرأ أبو المتوكل وأبو عمران (يُبْصِرونهم) مخففاً مع كسر الصاد، أي يُبصر المؤمن الكافرَ في النار[7]، وقراءة الجماعة ((يُبَصَّرُونَهُمْ)) مبنياً للمفعول مشدد الصاد، من (بُصِّرَ)[8]، وذكر الدكتور عبد اللطيف الخطيب أن الضبط عند ابن خالويه بالتخفيف وفتح الصاد (يُبْصَرُونَهُمْ) كذا، وسياق النصّ عند الشوكاني يقوي هذا[9]، وقال ابن الجوزي (يُبَصَّرُونَهُمْ) أي: يُعَرَّف الحميم حميمه حتى يعْرفه، وهو مع ذلك لا يسأل عن شأنه، ولا يكلمه اشتغالاً بنفسه. يقال: بصَّرْتُ زيداً كذا: إذا عرَّفته إياه، قال ابن قتيبة: معنى الآية: لا يسأل ذو قرابة عن قرابته ولكنهم يُبَصَّرُونَهُمْ، أي يُعَرَّفُونهم[10].

وأرى أن القراءتين متفقتان من حيث الدلالة؛ إذ ليس ثمة فرق كبير بين التشديد والتخفيف في القراءتين: يُبَصَّرُونَهُمْ و يُبصِرُونَهُمْ؛ لأنهم في كلتا الحالتين سوف يُبْصِرُونَهُمْ ويعرفونهم حقّ معرفتهم، ويعضّد رأيي قول أبي حيان الأندلسي: (يبصرونهم) في المحشر يبصر الحميم حميمهُ ثم يفرّ عنه لشغله بنفسه، وقيل: يبصرونهم في النار، وقيل: (يبصرونهم) فلا يحتاجون إلى السؤال[11]، وهذا يدل على أنه ليس هناك فرق كبير بين القراءتين – والله تعالى أعلم بحقائق الأمور.

وثمة أمثلة أخرى عديدة بين التشديد والتخفيف حفلت بها قراءات التابعيين البصريين لم أفصّل القول فيها خشية الإطالة [12]:

---

(1) مختصر في شواذ القرآن: 88، الكشاف: 302/2 .
(2) زاد المسير: 287/5 , الدر المصون: 23/5 .
(3) معاني القرآن وإعرابه: 75/5 , مختصر في شواذ القرآن: 147، المحتسب: 492/2 .
(4) الكشاف: 180/3، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 119/14 , زاد المسير: 79/8 .
(5) جامع الأحكام: 113/17.
(6) ينظر: إعراب القرآن: 276/4 , والكشاف: 33/4 .
(7) مختصر في شواذ القرآن: 161 , المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 93/15 .
(8) زاد المسير: 361/8 , البحر: 334/8 , روح المعاني: 74/29 .
(9) معجم القراءات , الخطيب: 80/10 .
(10) زاد المسير في علم التفسير: 361/8 .
(11) البحر المحيط: 328/8 .
(12) المزيد من أمثلة التشديد والتخفيف تجده في السور والآيات: الفرقان 49/25، الغاشية 17/88، الفرقان 68/25، الصافات 13/37، آل عمران 52/3، المؤمنون 113/23، الصافات 37/54-55، الصافات 37/104-105، الصافات 94/37، وغيرها.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة التي صحبنا فيها التابعييّن البصرييّن، ودرسنا الإدغام والإظهار في قراءاتهم، نستطيع أن نجمل أبرز النتائج التي تمخضت عنها هذه الدراسة بما يأتي:

1-تَبَيَّنَ في المبحثين الأول والثاني الذي سلطت فيه الأضواء على التابعييّن البصرييّن وقراءاتهم أن اختيار القراء السبعة والثلاثة المكملين للعشرة والأربعة بعدهم اجتهاد محضٌ من ابن مجاهد، وابن الجزري، والدمياطي – رحمهم الله تعالى – استناداً إلى ثلاثة أركان ثابتة لصحة القراءة، فإذا ما توافرت هذه الأركان عند قارئ، فهذا يعني ولادة القارئ الخامس عشر وغيره؛ لأن باب الاجتهاد مفتوح وليس مقصوراً على العلماء السابقين الذين اختاروا القرّاء الأربعة عشر.

2-تعدّ قراءات التابعييّن البصرييّن من شواذ القراءات؛ لأن القراءة الشاذة هي ما خالفت ركناً من الأركان الثلاثة للقراءة الصحيحة.

3-بيَّنت الدراسة أنّ القراء – موطن البحث – هم رعيل أول في هذا الفن وبعضهم أقدم من القراء السبعة وبعضهم الآخر معاصر لهم، وهذا يعني أن السبعة يمكن أن يكونوا قد أخذوا عن بعض القرّاء الذين نحن بصدد دراستهم مما يزيد هذه الدراسة أهمية في ميدانها.

4-وفي المبحث الثالث الذي تناولت فيه التشديد تبيَّن أن التشديد سمة من سمات النطق البدوي في حين أن أهل الحواضر والأمصار يميلون إلى التخفيف في نطق كلامهم.

5-ويكون التشديد في الأسماء والأفعال إلا أنه في الأفعال أكثر حدوثاً فأغلب قراءات التابعيين البصريين في هذا المبحث جاء على صيغٍ فعليّة.

المصادر والمراجع

۞ القرآن الكريم

أولاً: الكتب المطبوعة:

- إتحاف فضلاء البشر في قراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي (ت1117هـ)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ ./1998م.
- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت 1403هـ)، مكتبة السنة، الطبعة الرابعة.
- إعراب القراءات الشواذ، أبو البقاء العكبري (ت 616هـ)، تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، ط2، عالم الكتب، بيروت، 2010م.
- إعراب القرآن أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت 338هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
- تاريخ القرآن، عبد الصبور شاهين . دار القلم . الكويت 1966 .
- تفسير غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية)، 1978م.
- جامع البيان عن تأويل القرآن، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار، دار الفكر، 1995 م.

- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي (ت671هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985م.
- الخصائص، عثمان بن جني الموصلي أبو الفتح ابن جني (ت: 392هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1999م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، أبو العباس، شهاب الدين السمين الحلبي (ت: 756هـ) تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د.ت.
- دراسات في لغة القرآن وقراءاته، الدكتور صالح كاظم عجيل، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، 2014م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.
- زاد المسير في علم التفسير: ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي البغدادي (ت597هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن عبد الله، دار الفكر، 1987م.
- شرح شافية ابن الحاجب، رضى الدين محمد بن الحسن الإستراباذيّ (ت 686هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، مطبعة حجازي، القاهرة، 1938م.
- الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري، صاحب أبو جناح، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، 1985م.
- الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز، صاحب جعفر أبو جناح، مطبعة جامعة البصرة، 1988م.
- في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثامنة، 1992م.
- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، الدكتور سعدي أبو حبيب، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، 1988م.
- قراءة زيد بن علي، دراسة نحوية ولغوية، الدكتور خليل ابراهيم حمودي السامرائي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م، بيروت.
- كتاب سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر سيبويه (ت:180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

.الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب القيسي (ت:437هـ)، تحقيق: محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1974م.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي ابن منظور(ت:711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1983م.
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعارف، مصر، 1969م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت:392هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف–المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1999م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.
- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه، عني بنشره برجشتراسر، دار الهجرة، 1934م.
- مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: 437هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1405.

- معاني القرآن: الاخفش الاوسط الامام أبو الحسن سعيد بن مَسعَدة المجاشعي البلخي البصري (ت 215 هـ)، تحقيق الدكتور فائز فارس، ط1، 1979م، ط 2، 1981م.
- معاني القرآن، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء أبو زكريا (ت: 207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (د.ت).
- معجم القراءات القرآنية، عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2002م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري أبو عبد الله (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
- المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر، محمد محمد محمد سالم محيسن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1969م، (د.ط).
- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن يوسف، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري (ت: 833هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].